الخـطـاب العقـــدي
بين الأصـــالـة والمعاصـــرة

د. عثمـان علـي حسـن

د. عثم-ان عل-ي حس-ن( )

:

إذا كان من معاني التجديد في الفكر الإسلامي الرجوع بـ الدِّين إلى سابق عهده نصاً صحيحاً، وفهماً سليماً، والتزاماً واعياً، ودعوةً حكيمةً، لتكون الأُمّة أقرب إلى مراد الله تعالى منها، وأكثرها شبهاً بالنموذج الأمثل، نموذج الرعيل الأول، فإنّ العقيدة الإسلامية أحوج ما تكون لهذا التجديد بهذا الاعتبار، كيف لا؟! وهي أساس البناء، وقاعدته الصلبة، وروحه السارية فيه، وأعمق خصائصه المميزة له.

فهذه العقيدة كانت ـ ولا تزال ـ هدف الأعداء بالتشويه و التشكيك والمحاصرة وذلك لإقصائها عن موقع الصدارة و القيادة والتفعيل في جسد الأُمّة الكبير، كما كانت ـ أيضاً ـ فريسة لعبث بعض الأولياء حيث علق بها كثير من المفاهيم الخاطئة والتفسيرات الغريبة على طبيعتها، والمخالفة لفطرتها، وذلك في سبيل الدفاع عنها، والذود عن حياضها، لكن بلغة الخصوم وأساليبهم؛ حتى أضحت مسخاً شائهاً، لا تعدو أنْ تكون خليطاً مِنْ ألغازٍ فلسفيةٍ وتمحُّلات كلامية، وإشارات ذوقية، لا يقوى على حلها وفكها إلا ّ الخواص، أو خواصهم؛ فذهبت عن عقيدة الإيمان سهولتها وفطريتها التي تميّزت بها حينما نزل بها القرآن، وحينما كانت تناسب جميع العقول والأفهام؛ الحاضر منهم والبادي، الكبير والصغير، المتعلِم والعامِّي... وغير هؤلاء، وذهب عنها دورها الريادي والمراقِب للضّمائر و المحرّك للجوارح كما عاشها الرعيل الأول.

لقد أضحى مقرر التوحيد والعقيدة في كثير من الأوساط

العلمية أكثر صعوبةً وتعقيداً مِنْ مقررات الرياضيات، والفيزياء، والكيمياء، فهو مقرر رسوب لا نجاح، فالعقيدة في حس الكثيرين تعني التعقيد.

أضف إلى ذلك: أنّ العقيدة ما عادت تبعث ـ في كثير من ا لأحيان ـ على الاطئمنان القلبي، والاستقرار الفكري، والتفاعُل السّلوكي، بل على الشك والتردُّد الذي عاناه كثير من الفلاسفة والمتكلِّمين قديماً، وسجلوا اعترافاتهم بذلك، فمادة العقيدة عبارة عن جدل ونقاش لا يكاد ينتهي، وافتراضات لا يكاد يتصوّرها عقل، ثم أجوبة واعتراضات، وأجوبة تلك الا عتراضات، واعتراضات تلك الأجوبة وأجوبتها، وهكذا إلى ما لا نهاية.

وأقلّ ما في هذا الأسلوب ـ إنْ سلم من الانحراف العقدي ـ اتصافه بالعبارة الجّافة، والطريقة الوعرة، مع ضعف البرهان، وإتعاب الأذهان، وتضييع الأزمان، ومخاطبة العقل دون العاطفة وإمتاع الفكر دون الوجدان، وهو مخالف للأسلوب القرآني الذي تربّى عليه الجيل الأول، فأصلحوا به العباد وفتحوا به البلاد.

نعم قد يُقال إنّ بعض الأ ُسلوب الكلامي والفلسفي كان هو الأصلح ـ في فترة مضت ـ وذلك في مناظرة أصحاب الديانات المنحرفة، والفلسفات القديمة، لأتهم كانوا يقررون ما عندهم بهذا النّمط من الكلام، فاضطر المسلمون إلى منازلتهم، واستخدام لغتهم في الحوار إذ كان ذلك أفتك فيهم وأقطع لحجتهم، لكن لا ينبغي أن يكون ذلك مبرراً لاستصحاب اللّغة نفسها والطريقة ذاتها في الجدال لعرض عقيدة الإيمان لأجيالنا المعاصرة؛ مسلمين وكافرين، لأنّ لكلِ عصرٍ لغته وأساليبه

واهتماماته.

علماً بأنّ أكثر أساليب المتكلِمين لا تسلم من القوادح بسبب ما تحمله من اللوازم الباطلة، والنتائج الفاسدة على ما ستأتي ا لإشارة إلى بعضه.

وفي المقابل نجد بعض المؤسسات التي تنتسب إلى السلفية تعرض العقيدة عرضاً بعيداً ـ في كثير من الأحيان ـ عن حاجة النّاس الحقيقية، يحدِّثونهم عن أشياء لا تبلغها عقولهم، ولا تمس واقعهم، ولا تنالها اهتماماتهم، ويُروّجون لكتب الأئمة الكبار وغالبها صُنِّفَ في الردِّ على مخالفيهم من أهل البدع والكلام والفلسفة، وفي بعضها استعمال لمصطلحات الخصوم ـ وهو أمرٌ جائز ـ مراعاةً للغة العصر الذي يعيشونه ومواجهةً لأساليبه.

لكن قد تكون القضايا التي أجابوا عنها، وناقشوها، وفرّغوا لها أوقاتهم ليست محل اهتمام أجيالنا المعاصرة، أو ليست محل خلاف بينهم، أو على أقل تقدير لا تقع على قائمة أولوياتهم، فيكون اجترارها مرةً أخرى من دواعي بعثها وتحريك الصدور بها، وفتح جبهات معارك كلامية قد كُفينا شرّها بغيرنا، ويكفينا ما نحن فيه من التّحديات المعاصرة، التي تُمثِّلها الفلسفة المادِّية الإلحادية، والمذاهب العلمانية، إلى جانب الأعداء التقليديين من اليهود والنصارى، الذين يلبسون لكل عصر لَبُوسَه؛ من صهيونية وماسونية واستشراق وتنصير وتغريب، ثم غير هؤلاء من أصحاب الديانات الوضعية، والا تجاهات المذهبية الغربية الحديثة.

وهذا لا يعني إهمال المخالفات الشرعية المنتشرة في بعض البلدان؛ كمظاهر الشرك والابتداع العقدي والسلوكي، لكن

لا ينبغي إخراجها عن خصوصية الزمان والمكان، بل الواجب إعطاؤها ما يناسبها من الجهد والوقت؛ كل حالة بحسبها زماناً ومكاناً وجهداً.

فنحن بحاجةٍ ملحّةٍ إلى تجديد لغة الخطاب العقدي في عصرنا؛ سواء لأجل مخاطبة المسلمين لتأسيس وتمتين عقيدتهم، أو مخاطبة غيرهم لدعوتهم إلى الإسلام، أو رد شبهاتهم وطعونهم التي يثيرونها، والذود عن الإسلام وأهله.

فأرجو لهذه الورقة أنْ تكون مشاركةً في إثارة هذه القضية ، وتحديد مشكلاتها، ومحاولةً في اقتراح بعض الحلول لها.

وصلى الله على نبينا محمدٍ وآله وسلم تسليماً كثيراً،

أنواع الخطاب العقدي (الكلامي ـ الصوفي ـ السلفي)

أعرض هنا ـ وفي إيجاز ـ أشهر أنواع الخطاب العَقدِي الذي جرى عليه أمر النّاس قديماً وحديثاً في المؤسسات الرسمية وغيرها، مشيراً إلى ما فيها من القصور، ثم أذكر ما أراه الأوْلى في عرض قضايا العقيدة.

أولاً: الخطاب الكلامي

السمة الغالبة على علم الكلام: النِّزاع والجدال، و التشقيقُ في العبارات والتعمقُ في المسائل، فلا تكاد تجد مسألةً من مسائله إلاّ وللمتكلِّمين فيها نزاعٌ وشجار، حتى عُدّ ذلك من أسباب تسميته.

ولا يُنْكَر ما للمتكلِّمين من جهود مشكورة في الردِّ على الملاحدة وأهل الأديان المنحرفة، وأصحاب البدع الكبار، لكن في طريقتهم ضعفاً وقصوراً، يورث أحياناً شكوكاً لا ينحلّ المرء منها بسهولة، فلا ينبغي أنْ يُعوّل عليها في تأسيس إيمان الشبيبة المسلمة، فكيف إذا عرفنا تضمنها بعض المغالطات، وهاهنا بعض التفصيل لهذه الجملة:

[1] صعوبة اللغة الكلامية:

وذلك ظاهر جداً في كتب علم الكلام ومؤلفاته، وفي مصطلحاته؛ كالأينية والبينية والجوهر والعرض، والطفرة ونحو ذلك، وقد قيل ثلاثة لا تُعقل: طفرة النَّظّام، وكسب الأشعري، وأحوال أبي هاشم.

وهذه الصعوبة تتأكد في حال أجيالنا المعاصرة، وقد يكون للمتكلمين العذر؛ إذ كانوا يخاطبون ويجادلون قوماً هذه

لغتهم، وهذا أسلوب خطابهم، ولعلّهم لا يفهمون المُراد بغير ذلك، أمّا أن يكون أسلوب المتكلّمين هو الخطاب العَقَدِي المعاصر، والذي تُؤسّس به عقيدةُ المسلمين، أو تُدفع به الشُبُهاتُ المثارة، فهذا مما يصعب على أجيالنا المعاصرة استيعابه. وهو الأمر الذي جعل كتب العقائد ومادة العقيدة من أصعب المواد والمقررات في جامعاتنا ومعاهدنا.

وأيضاً ـ فإنّ كتب الكلام صُنِّفت للردِّ على المخالفين من شتّى الطّوائف، ولم تُصنّف لتأسيس العقيدة وتقريرها ابتداءً، وهذا مما يزيد في صعوبة فهمها وفهم لغتها.

[2] إغفاله الجوانب العملية في تأسيس البناء العقدي:

فعلم الكلام لا يُحمل على العمل والتفاعل السلوكي مع قضايا الإيمان والإسلام، ولهذا قال الإمام مالك ـ رحمه الله تعالى ـ: "الكلام في الدِّين أكرهه، ولم يزل أهل بلدنا يكرهونه وينهون عنه، نحو الكلام في رأي جهم والقدر، وكل ما أشبه ذلك، ولا أحب الكلام إلاّ فيما تحته عمل، فأمّا الكلام في دين الله وفي الله تعالى فالسكوت أحب إليّ؛ لأنّي رأيتُ أهلَ بلدنا ينهون عن الكلام في الدِّين إلاّ فيما تحته عمل"(1).

قال أبو عمر بن عبد البر ـ رحمه الله تعالى ـ:"...والذي قاله مالك ـ رحمه الله تعالى ـ عليه جماعة الفقهاء والعلماء قديماً

(1) ابن عبد البر، يوسف أبو عمر، جامع بيان العلم وفضله، دار الفكر، بيروت، لبنان، 116/2.

وحديثا ً من أهل الحديث والفتوى.."[1].

وقال ابن قتيبة[2] ـ رحمه الله تعالى ـ: "وكان المتناظرون فيما مضى يتناظرون في معادلة الصبر بالشكر، وفي تفضيل أحدهما على الآخر، وفي الوساوس والخطرات ومجاهدة النّفس، وقمع الهوى. فقد صار المتناظرون يتناظرون في الاستطاعة والتولد والطفرة والجزء والعرض والجوهر..."[3].

[3] عدم التركيز على قضية العبودية لله تعالى:

مع أنّ تعبيد النّاس لربهم وإخضاعهم لشرعه وحكمه هو الذي بُعِثت لأجله الرُسُل ونزلت به الكتب، وله قامت سوق الجهاد، وانقسم النّاس فيه إلى مؤمنٍ وكافر، وفريقٍ في الجنّة وفريقٍ في السّعير، لكن المتكلِّمين استفرغوا وُسعهم وبذلوا جُهودهم، وقتلوا أوقاتهم في تقرير مسائل الوجود ومعرفة الخالق، مع أنّ هذا أمرٌ مستقر في الفطر وواضح ببدائه العقول لدى أكثر الخلق، فقد قال الله عن المشركين: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[4]، وقال: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ

---

(1) ابن عبد البر: جامع بيان العلم، 116/2.

(2) هذه الألفاظ درجت على ألسنة المتكلّمين، وحفلت بها مصنفاتهم؛ فالاستطاعة هل تكون قبل الفعل أم بعده أم معه على خلاف بينهم، والتولد هو أنّ الفعل يصدر من غير إرادة ولا قصد وإنما يتولد تولدا، والطفرة هو الانتقال من النقطة (أ) إلى النقطة (ج) دون المرور بالنقطة (ب)، والجزء ما يكون في مقابل الكل، والجزء الذي لا يتجزأ يرمز به إلى أصغر الأشياء كالذرة مثلا ً، والجوهر ما يقوم بنفسه مثل الجسم، والعرض ما لا يقوم بنفسه، بل يقوم بغيره مثل الصفات.

(3) ابن قتيبة، محمد بن عبد الله أبو محمد، مطبعة السعادة، مصر، 1349هـ، ص 9.

(4) سورة الزخرف، الآية (87).

ٱلۡعَلِيمُ ﴿٩﴾ ﴾[1]، إلا ّ من فسدت فطرته، وتعط ّلت مداركه، فمثل هذا قد يحتاج إلى علاج ٍ مادي ّ أو معنوي ّ قبل أن يُكل ّم أو يُ جادل! والقرآن حينما تعر ّض لهذه الأمور فم ن ْ باب الإلزام، فكأن ّه يقول: يا من تُق ر ُّ بوجود الله وأن ّه الخالق، فلا أحد ٌ يستحق العبادة غيره، ولا أحدٌ يصلح حكمه سواه؛ إذ هو الخالق لا خالق إلا ّ إيّاه، فلماذا تُ شرك معه آلهة ً أخرى، قال تعالى: ﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ ﴾[2].

[4] عدم الجزم واليقين في مسائل الكلام:

فأكثر مسائل الكلام تجويزات واحتمالات، حتى قال أبوحامد الغزالي ـ رحمه الله تعالى ـ في ذمِّه: "... أم ّا مضرته: فإثارة الش ُب ُهات، وتحريك العقائد، وإزالتها عن الجزم والتصميم، فذلك مما يحصل في الابتداء، ورجوعها ب الدليل مشكوك فيه، ويختلف فيه الأشخاص، فهذا ضرره في اعتقاد الحق.

وأما منفعته فقد يظن أن ّ فائدته كشف الحقائق ومعرفتها على ماهي عليه، وهيهات، فليس في الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف، ولعل ّ التخبيط والتضليل فيه أكثر من

(1) سورة الزخرف، الآية (9).
(2) سورة يونس، الآيتان (31-32).

الكشف والتعريف، وهذا إذا سمعته من محدث أو حشوي[1] ربما خطر ببالك أن ّ الن ّاس أعداءُ ما جهلوا، فاسمع هذا ممن خَبرَ الكلام ثم قلاه بعد حقيقة الخبرة، وبعد التغلغل فيه إلى منتهى درجة المتكلِ ّمين، وجاوز ذلك إلى التعم ّق في علوم أ ُخ َر تناسب نوع الكلام، وتحقق أن ّ الطريق إلى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود. ولعمري، لا ينفك الكلام عن كشف وتعريف وإيضاح لبعض الأمور، ولكن على الندور..."[2].

ويقول ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ: "إن ّك تجد أهل الكلام أكثر الن ّاس انتقالا ً من قول ٍ إلى قول، وجزما ً بالقول في موضع، وجزما ً بنقيضه، وتكفير قائله في موضع ٍ آخر، وهذا دليل عدم اليقين. ولهذا قال بعض السلف ـ عمر بن عبدالعزيز أو غيره ـ: "من جعل دينه غرضا ً للخصومات أكثر التنق ّل"[3].

ولهذا قال الإمام مالك ـ رحمه الله تعالى ـ: "أوكلما جاءنا رجل ٌ أجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل إلى محمد لجدل هؤلاء[4].

(1) حشوي وحشوية، لفظة يعير بها نفاة الصفات المثبتين لها، ويعنون بذلك أنهم مجسمة ومشبهة.
(2) الغزالي، محمد بن محمد أبو حامد: إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 97/1.
(3) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم أبو العباس، مجموع فتاوى ابن تيمية، مكتبة المعارف، المغرب، 50/4.
(4) انظر: الأصبهاني، إسماعيل بن محمد أبو القاسم: الحُجّة في بيان المحجة، برقم 476 ، تحقيق محمد ربيع بن هادي المدخلي، دار الراية، الرياض، السعودية، ط/1، 1411 هـ ـ 1990م، 455/2، واللالكائي، هبة الله بن الحسن أبو القاسم: شرح أصول

[5] كثرة الاختلاف والتنازع في أهله:

وهو من السمات البارزة لأهل الكلام؛ حتى بين أهل الطائفة الواحدة والمذهب الواحد، فلا تكاد تجد اثنين منهم على وفاق ٍ تام في غالب مسائلهم، وهذا ليس في فروع الد ِّين، وإنـ ّما في أصوله بل في المسائل التي يسمونها قطعيات ويقينيات؛ فهذا أبو هاشم خالف أباه في تسع ٍ وعشرين مسألة، وكان أبوه يخالف أبا الهذيل في تسع عشرة مسألة. وبين معتزلة بغداد ومعتزلة البصرة اختلاف كثير وفاحش؛ يُكفِّر بعضهم بعضا ً، وذُكر أن ّ الاختلاف بينهم في أكثر من ألف مسألة[1].

وقد قال ابن قتيبة ـ رحمه الله تعالى ـ: "وقد كان يجب ـ مع ما يدعونه من معرفة القياس، وإعداد آلات النـ ّظر ـ أن لا يختلفوا كما لا يختلف الحُسّاب والمُسّاح والمهندسون؛ لأن ّ آلاتِهم لا تدل ُّ إلا ّ على عدد واحد، وإلا ّ على شكل واحد، وكما لا يختلف حذاق الأطباء في الماء، وفي نبض العروق؛ لأن الأوائل قد وقفوهم من ذلك على أمر واحد، فما بالهم أكثر الناس اختلافا لا يجتمع اثنان من رؤسائهم على أمر واحد في الدين...ولو كان اختلافهم في الفروع والسنن لاتسع لهم العذر عندنا ، وإن كان لا عذر لهم مع ما يدعونه لأنفسهم، كما اتسع لأهل الفقه ووقعت لهم الأسوة بهم، ولكن اختلافهم في التوحيد

اعتقاد أهل السُنّة والجماعة من الكتاب والسُنّة وإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم، برقم 293-294، تحقيق أحمد سعد حمدان، دار طيبية للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، 144/1.

(1) انظر: الملطي، محمد بن أحمد أبو الحسين: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، تقديم محمد زاهد الكوثري، مكتبة المثنى، بغداد، العراق، 1388هـ ـ 1968م، ص 40.

وفي صفات الله تعالى، وفي قدرته، وفي نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار، وعذاب البرزخ، وفي اللوح وفي غير ذلك من الأمور التي لا يعلمها نبي إلا بوحي من الله تعالى... "[1].

هذا إلى جانب ما نقل عن كثير من الأئمة والعلماء في ذم الكلام وبيان عواره وبطلانه، وأبلغ من ذلك ما نقل عن كثير من أئمة الكلام من رجوعهم عن الكلام، وذمهم له، وبيان فساده وعدم جدواه، ثم توبتهم من ذلك وندمهم على ماكان منهم، وعلى ما ضيعوه من الأزمان، وإتعاب الأذهان، ثم ميلهم إلى طريقة أهل السنة واستحسانهم لها، ونصح تلاميذهم وأتباعهم بذلك.

ولا يعني ما ذكر آنفا هضم ما لأهل الكلام من جهود مشكورة، ومساع حميدة مبرورة، في الرد على البدع الكبار كبدعة الرفض[2] والتجهم[3] والباطنية[4]، والتصدي لليهود و

---

(1) ابن قتيبة، محمد بن عبد الله أبو محمد،: تأويل مختلف الحديث، تحقيق محمد زهري النجار، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1493هـ ـ 1973م، ص 14-16.

(2) الرفض نسبة إلى الرافضة، وهم الشيعة الإمامية الاثنا عشرية، من مذاهبهم: النّص على الإمامة، وأنّها لا تخرج من علي وولده إلا ّ بظلم من غيره أو بتقية منه، وقالوا بعصمة الأئمة، والولاء والبراء، الولاء لآل البيت والبراء من أعدائهم، ويعنون بذلك سائر الصحابة ومنهم أبا بكر وعمر وغيرهم. انظر: الأشعري، علي بن إسماعيل أبو الحسن: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق هلمون ريتر، دار النشر فرانز شتانير، فيسبادن، ط/3، 1400هـ ـ1980م. 5/1. والشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، أبو الفتح: الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت ، لبنان، 1400هـ ـ 1980م، 146/1-147.

(3) التجهم نسبة إلى جهم بن صفوان السمرقندي، قتله سالم بن أحوز المازني آخر ملك بني أمية سنة 127هـ، قال بفناء الجنّة والنّار، وأنّ الإيمان هو المعرفة، والكفر هو الجهل فقط، وقال بالجبر المحض، وأنّ القرآن مخلوق. انظر: الأشعري: مقالات الإسلاميين، 279/1-280، والشهرستاني: الملل والنحل، 86/1-88.

(4) الباطنية: عدة فِرَق، سُمّوا بذلك لقولهم بأنّ لظواهر نصوص القرآن والسُنّة بواطن تجري من الظواهر مجرى اللب من القشر، وجعلوا ما في النصوص من عقائد

النصارى والمشركين والفلاسفة الملحدين ونحوهم. مما شكرهم المسلمون عليه، واستحمدوا مواقفهم التي فيها النصرة لدين الله تعالى . يقول ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ: "وكذلك متكلمة أهل الإثبات مثل الكّلاب ـيّة والكراميّة والأشعريّة إنما قُبلوا واُتبعوا واُسْتُحْمِدُوا إلى عموم الأمة بما أثبتوه من أصول الإيمان؛ من إثبات الصانع وصفاته وإثبات النبوة، والرد على الكفار من المشركين وأهل الكتاب، وبيان تناقض حججهم، وكذلك استحمدوا بما ردوه على الجهمية والمعتزلة والرافضة والقدرية[1] من أنواع المقالات التي يخالفون فيها أهل السنة و الجماعة"[2].

ثانيا ً: الخطاب الصوفي الإشاري

بعض المتصوفة ويوافقهم الباطنية يجعلون لنصوص الشرع معاني ظاهرة هي حظ العوام، وأخرى باطنة لا يطلع عليها إلا الخواص أو خواص الخواص، والمعاني الباطنة عادة ـ عند هؤلاء ـ تخالف المعاني الظاهرة، ولهذا يحتاجون إلى التصرف في ظواهر نصوص الشرع بنوع من التأويل.

كما أنهم يزعمون استفادة مذاهبهم من الله مباشرة لا عن

وأحكام إشارات إلى بواطن أخرى لا ينالها إلا ً المتعمقون، فالتوحيد شرك، والصلاة مولاة إمامهم، والحج زيارته وإدمان خدمته، والصوم الإمساك عن إفشاء سره إلى غير ذلك. انظر: الحفني، عبد المنعم: موسوعة الفِرَق والجماعات والمذاهب الإسلامية، دار الرشاد،، القاهرة ـ مصر، ط/1، 1413هـ ـ1993م، ص 96.

(1) القدرية: هم من نسبوا إلى القدر، أي أنّ تقدير الأفعال إلى الإنسان لا إلى الخالق، ومنهم المعتزلة، فالأفعال مخلوقة للعباد، تنسب إليهم فعلا ً وخلقاً وكسباً. انظر: الحفني: موسوعة الفِرَق، ص 315.

(2) ابن تيمية: مجموع الفتاوى، 13/4-12. وانظر : ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم أبو العباس: الرد على المنطقيين، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص 142-143.

طريق الوحي الشرعي، وإنما بوسائل أخرى تدور على أمرين أساسين هما: الكشف والرؤى، وهو ما يعبرون عنه أحيانا بالعلم اللدني.

وربما يبررون مخالفة الباطن للظاهر بقصة الخضر وموسى ـ عليهما السلام ـ الواردة في سورة الكهف.

ومما ينبغي الإشارة إليه أن المعرفة الصوفية لا يمكن تعلمها ولا شرحها ولا الاستدلال عليها، وإنما يمكن معرفة طرقها ووسائلها ومناهجها وتعاليمها، وأحكامها، فيأخذ بها السالكُ نفسَه ليصل إلى المقصود، فهي حالة يعيشها السالك فحسب، حالة تُعْلم بالمنازلات والمواجيد[1] فلا يعرفها إلا من نازل تلك الأحوال وحل تلك المقامات[2]يقول عبد الرحمن الجامي: "إن مستند الصوفية فيما ذهبوا إليه هو الكشف و العيان، لا النظر والبرهان..." وذكر أن السالك يفرغ قلبه عن جميع التعلقات الكونية، والقوانين العلمية[3].

وذكر أبو حامد الغزالي ـ رحمه الله تعالى ـ أن علوم الصوفية إنما فاضت عليهم فيضا، ولم تحصل لهم بالتعلُم و

---

(1) التواجد: استدعاء الوجد تكلفاً، والوجد: ما يصادف القلب ويرد عليه بلا تكلُف وتصنُع ، وقيل هو بروق تلمع ثم تخمد سريعاً. انظر: الجرجاني، علي بن محمد، أبو الحسين: التعريفات، تحقيق عبد الرحمن عميره، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط/1، 1407هـ ـ 1987، ص 99، 305.

(2) انظر: غلاب، محمد: المعرفة عند مفكري المسلمين، مراجعة محمود العقاد وزكي نجيب محمود، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ص 89-95، وقاسم، محمود: مقدمة كتاب مناهج الأدلة لابن رشد، مكتبة الأنجلو، مصر، 1964م، ص 24، والكلاباذي، محمد أبو بكر: التعرُف لمذهب أهل التصوُف، تحقيق عبد الحليم محمود ، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر، 1380هـ ـ 1960م، ص 87.

(3) الجامي، ملا عبد الرحمن، الدرة الفاخرة في تحقيق مذهب الصوفية والمتكلِّمين و الحكماء، بذيل كتاب أساس التقديس لفخر الدين محمد بن عمر الرازي، مطبعة كردستان العلمية، مصر، 1328هـ، ص 253.

الدراسة والكتابة للكتب، والنظر في المصنفات، والبحث عن الأقاويل والأدلة المذكورة، بل من لوازم طريقهم قطع الهمة عن الأهل والولد والعلم، فلا يفرق فكره بقراءة قرآن، ولا بالتأمل في تفسيره، ولا بالنظر في كتب الحديث وغيرها[1].

ولا ريب أن المؤمن إذا صحت معرفته بالله ورسوله ودينه، وصدقت متابعته للشرع ظاهراً وباطناً، يفتح الله عليه بما لا يفتح على غيره؛ من إلهامات صحيحة وفراسات صائبة وأحوال صادقة، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَـٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَـٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ ﴾[2]. وكان عمر يقول: "اقتربوا من أفواه المطيعين واسمعوا منهم ما يقولون فإنه تتجلى لهم أمور صادقة"[3].

مع أن أفضل كرامة ينالها السالك هي متابعة النبي ظاهرا وباطنا، وأحسن الكشف وأجله أن يكشف للسالك عن طريق الشريعة ليستقيم عليها، وعن عيوب نفسه ليصلحها، وعن ذنوبه ليتوب منها، فما أكرم الله الصادقين بكرامة هي أعظم من هذا الكشف، وفي الحديث: "وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضتُ عليه، وما يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله

(1) انظر: الغزالي: إحياء علوم الدين، 3/19-18.
(2) سورة النساء، الآيات (66-68).
(3) ابن تيمية: مجموع الفتاوى، 1/473-474.

التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينّه، ولئن استعاذني لأعيذنه..." [1].

وقال تعالى في وصف الأولياء: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣ ﴾[2]، فلم يذكر لهم شيئا غير وصف الإيمان والتقوى فدل على أنه أحسن الأوصاف وأجلها.

ومرتبة الوحي أعظم وأشرف من مرتبة الذوق والوجد والإلهام ونحوها، فكل إنسان يذوق ويجد ما يحبه ويتشهى، وربما كان الشيطان يتمثل في صورة المحبوب، فيخاطب الإنسان بأشياء يزعم أنها من جهة المحبوب، وقد يخاطبه الشيطان بأشياء حسنة رشوة له، لا يخاطبه بما يعرف أنه باطل، لئلا ينفر منه، بل بما يرى أنه حق[3].

والإلهام دليل خاص، فكثير من أهل الإيمان والصدق يلقي الله في قلبه أن هذا الطعام حرام، وأن هذا الرجل كافر أو فاسق، من غير دليل ظاهر، بل بما يلقي الله في قلبه، فهذا وأمثاله لا يجوز أن يستبعد في حق أولياء الله المتقين[4].

لكن هذا يعد أمرا خاصا لا يتعدى المكاشَف أو الملهَم، بل يحكم به في خاصة نفسه، ولا يُلزم به غيره لعدم قدرته على

---

(1) البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله: صحيح البخاري مع شرح فتح الباري، كتاب الرقاق، برقم 6502، خدمه محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، مصر، 1380هـ، 11/ 349-348.

(2) سورة يونس، الآيتان (62-63).

(3) انظر: ابن تيمية: مجموع الفتاوى، 1/611-612.

(4) انظر: ابن تيمية: مجموع الفتاوى، 20/47.

إقامة الدليل على صحة كشفه أو إلهامه. قال الشيخ العطار: "الإلهام حجة في حق الملهم دون غيره، بذلك صرح الشيخ شهاب الدين السهروردي، ومال إليه التفتازاني في بعض مصنفاته"[(1)].

ومع ذلك فهناك من يرى تقييد الإلهام ونحوه بعدم مخالفته للشرع، فلا يجوز أن يحكم به الشخص ولو في خاصة نفسه إذا كان مخالفا للشرع.

فهل بعد ذلك يصلح الإلهام ونحوه من الكشف والرؤى دليلاً وعلامة على الحق عند سائر النّاس؟!

أمّا المعنى اللدنّي والذي يتعلق به غالية الصّوفية، ويدّعون أنّه علم الحقيقة، وأنّه يُخالف العلم الظاهر، ويستدلون على ذلك بقصة موسى والخضر ـ عليهما السلام ـ، فلا ريب أنّ الله تعالى يفتح على قلوب أوليائه المتّقين وعباده الصّالحين، بسبب طهارة قلوبهم مما يكرهه، واشتغالهم بما يحبه، ما لا يفتح به على غيرهم، وقد قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾﴾[(2)]، وقال: ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾[(3)]،

(1) العطار، حسن: حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع للسبكي، المطبعة العلمية، مصر، ط/1، 1316هـ، 363/2.
(2) سورة النساء، الآيات (66-68).
(3) سورة المائدة، الآية (16).

وقال تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾[1].

وليس في هذا الفتح الإلهي والتوفيق الرباني ما يخالف حقائق الشرع أو ظواهره، بل كل ما يخالف الشرع يُحكم ببطلانه.

أما قصة موسى والخضر ـ عليهما السلام ـ فعند النظر و التحقيق يتبيـّن أنـّه ليس فيها خروج على الشريعة، فاعتراضات موسى كانت وفق الظواهر والبيّنات المعلومة لديه ، والخضر يفعل وفق البينات والظواهر المعلومة لديه والتي كانت خافية على موسى، ولهذا لما تبيّنت لموسى لم يعترض عليها، وعلى أقل تقدير يمكن أنْ يقال: إنّ هذه القصة تأخذ حكم شرع مَنْ قبلنا، بل الخضر نفسه لم يكن على شريعة موسى فهو على علم علـّمه الله تعالى، وموسى على علم آخر علـّمه الله تعالى كما صرحت بذلك الروايات[2].

وقد يحسن من المتكلـّم أحيانـاً ترك البيان والإفصاح عن مراده بعبارة واضحة، بل يدخل في التعمية على المخاطب إذا كان في ذلك مصلحة راجحة، فيتكلـّم بالمجمل ليجعل لنفسه سبيلاً إلى تفسيره بما يتخلص به، أو ليوهم السامع أنه أراد ما يخاف إفهامه إيـّاه[3].

قال أبو عبيد: "المعاريض أنْ يريد الرجل أنْ يتكلـّم بالكلام الذي إنْ صرـّح به كان كذباً، فيعارضه بكلام آخر يوافق ذلك الكلام في اللفظ ويخالفه في المعنى، فيتوهم

(1) سورة البقرة، الآية (282). وانظر: ابن تيمية: مجموع الفتاوى، 245/13.
(2) انظر: البخاري: الجامع الصحيح "فتح الباري"، برقم 4725، 409/9.
(3) انظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر: الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، تحقيق علي دخيل الله، دار العاصمة، الرياض، السعودية، ط/1، 1408هـ، 506/2.

السامع أنه أراد ذلك"[1].

ومن ذلك قول الشاعر:

لكن قومي وإن كانوا ذوي عدد ليسوا من الشر في شيء وإن هانا

لكن أن يقال: إن نصوص الشرع ولا سيما ما يتعلق منها بأصول الدين والإيمان، من مسائل الصفات الإلهية، والأفعال الربانية، ومسائل الملائكة، والجنة والنار، والأسماء والأحكام، كلها من هذا الباب، فهي كنايات ورموز وإشارات، وإن الشارع لم يفصح عن مراده ولم يبين مقصوده، بل ما قصده وأراده هو وراء هذه الظواهر، وهو سر لا يعلمه إلا الأفذاذ من الناس، والآحاد من العلماء، فهذا يتنافى مع حكمة الشارع وقصده في هداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وكون القرآن هدى ونوراً وشفاء لما في الصدور، وحياة للقلوب والأرواح.

ومع ذلك فلا ينبغي إهمال دور أهل التحقيق من شيوخ التصوف في معالجة أمراض النفوس، وتطهيرها من أدران الشرك والإلحاد وملاحظة السوى ـ أي الغفلة عن الله ـ وتنقيتها من حظوظها المخالفة للشريعة، من: الكبر، والبطر، والعجب، و الحسد، والغل، وسوء الظن بالرب تعالى، ونحو ذلك، إضافة إلى شحذ الهمم للاستكثار من العبادات، والسير بالنفوس في مدارك المقامات، والرقي بها في سلم الكمالات؛ بأسلوب لطيف، وعبارة رقيقة، وطريقة شرعية حسنة.

(1) البيهقي: أحمد بن الحسين أبو بكر، السُنن الكبرى، كتاب الشهادات، باب المعاريض فيها مندوحة عن الكذب، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، ط/1، 1355هـ، 10/ 199.

ثالثاً: الخطاب السلفي

لا شك أن السلف الصالح من أهل القرون الفاضلة الأولى هم أصحاب الحق في مقابل غيرهم من أهل البدع والضلالات، وذلك لاعتبارات كثيرة نقلية وعقلية، ليس هذا مجال بسطها، لكن نحن مع سلفنا الصالح رضوان الله عليهم في مناهجهم و مذاهبهم في الاعتقاد والسلوك، وفي موقفهم من البدع التي واجهوها، والقضايا التي أجمعوا عليها، ونحن مع المدرسة السلفية، والتي يعتلي صرحها شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ ومن قبله ومن بعده من علماء الأمة وجهابذتها، نحن معهم في مقابل أهل الفلسفة والكلام والتصوف المنحرف والزندقة، ونحن معهم في مواقفهم من قضايا: القدر، ومرتكب الكبيرة، والإمامة، والصحابة، والصفات الإلهية، وخلق القرآن، ورؤية الباري تعالى، والحلول والاتحاد، ووحدة الوجود ونحو ذلك من القضايا التي جادلوا فيها المخالفين لهم.

لكنني مع ذلك أريد أن أسجل هنا بعض الملاحظات على الخطاب السلفي المعاصر، وهي نصائح أرجو أن توافق آذانا صاغية وقلوبا واعية:

[1] أنهم لم يراعوا لغة العصر الذي نعيشه، فخاطبوا قومهم باللغة القديمة، أي القضايا القديمة والتي لا وجود لها أو لأكثرها الآن، أو أنها لا تشكل اهتماما لدى عامة الناس، بل هناك قضايا أولى منها قد استجدت على الساحة، أو هي موجودة في بقعة دون أخرى، وبلغة مختلفة.

[2] اعتمادهم الكتب القديمة أو الحديثة المؤلفة على الطريقة القديمة وقد قدموها لتكون كتب عقيدة، مع أنها

بكتب الفرق والخلاف أشبهُ منها بكتب العقيدة، ويأتي في مقدمة هذه الكتب كتاب شرح الطحاوية على ما فيه من العلم العظيم والدفاع الكبير عن فهم السلف ومنهجهم، لكنه مع ذلك لا يصلح أن يكون كتابا في تقرير العقيدة بسهولتها وشمولها، وأسلوبها القرآني المميز والمؤثر.

[3] التعرض لقضايا دقيقة وخفية، تعزب عنها عقول كثير من طلبة العلم فضلا عن العوام، أو تقع خارج دائرة اهتماماتهم، من ذلك هل الاسم هو عين المسمى أم غيره، وهل من فرق بين الوجود والماهية؟ ونزول الرب تعالى إلى السماء الدنيا، هل يلزم من ذلك خلو العرش منه أم لا؟ ونحو ذلك من التكلف.

[4] إثارة قضايا ليست هي محل خلاف بين عامة المسلمين اليوم، مثل قضية خلق القرآن، ورؤية الباري تعالى، ولو ترك المسلمون فيها على فطرتهم، أو معرفتهم المتواضعة لكان أجدى وأنفع، وأوفر للوقت والجهد، أو أن تعرض في صورة تقريرية من غير إشارة للخلاف.

[5] إقامة الخلاف في الفروع مقام الخلاف في الأصول، وبالتالي تضيق صدورهم بما عليه غيرهم من مذاهب الاجتهاد ومدراس الفقه، حتى صوّر لبعضهم أن المذهب المعتمد هو ما كان عليه إمام السنة والمحنة أحمد بن حنبل وما سواه باطل وابتداع، مع أن أحمد كان يحذر هو وغيره من الأئمة من هذه المسالك.

[6] التوسع في إطلاق عبارات وأحكام التكفير والتفسيق و التبديع مما كوّن حاجزا نفسيا بينهم وبين مجتمعاتهم التي تحتاج إلى تعليم وتوعية وتربية أكثر من حاجتها إلى مثل هذه الأحكام، وما أسهل النطقَ بها، وتوزيعها على الناس.

الخطاب البديل

إنه ليس أكثر من عودة لأسلوب القرآن الكريم وطريقته في معالجة مسائل العقيدة والإيمان، ومع ذلك فهو ليس عودة إلى الوراء، كما قد يبدو، وليس هروبا من الواقع ومن العصر ولغته، وليس انفلاتا من الحاضر وانكفاء على الماضي، بل الا لتزام بأسلوب القرآن في خطابه العقدي يستوعب الحياة بكل مستجداتها وألوانها وتحدياتها، يعطي لكل حالة حاجتها، ويعالج كل موقف بدوائه الناجع، كيف لا وهو كلام الله الخالق، العالم بخفايا الأمور، وما تكون عليه في قابل الأيام على تلونها وتجددها، وكتابه المعجزة الخالدة، والحجة الباقية؛ فمن أحسن من الله قيلا، ومن أحسن منه حديثا؟ وإليكم جملة من خصائص الاستدلال القرآني لنقف على قوته وجماله، وفائدته وثمرته، فمن ذلك:

أولا ً: القرآن كل مافيه معجز: فإيجازه معجز، وإطنابه معجز، وألفاظه معجزة، وأساليبه معجزة، ونظمه معجز، كل هذا معجز، وكذا استدلاله وجدله وبيانه، لا يصل إلى درجته نوع من الكلام... والفرق بين القرآن وكلام أعلى أئمة البيان يجعل الموازنة غير مستقيمة، فالفرق بينه وبين القرآن هو كا الفرق بين الخالق والمخلوق؛ لأنه فرق بين كلام الخالق وكلام المخلوق[1].

فالاستدلال القرآني معجز إعجاز القرآن، بمعنى أنه يستمد

(1) انظر: أبو زهرة، محمد: المعجزة الكبرى، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، دار غريب للطباعة، ص 343.

إعجازه من إعجاز القرآن، والقرآن معجز في كل مواد الاستدلال من : بلاغة، وفصاحة، وأدلة، وبراهين وغير ذلك. ومحال أن يعارض أحد القرآن في استدلاله، فيأتي بما يناقض القرآن، أو يعارضه، أو يماثله في صدق المعنى وصحة العبارة، وجودة الأسلوب، وبلوغ الهدف والغاية.

القرآن أثار في العرب دافع التحدي، وباعث المواجهة وهو سجية فيهم، ثم إنه نزل بلغتهم، وتحداهم في أعلى ما يفاخرون به، وهذا غاية التحدي، وحَفّزهم على ذلك في أكثر من موضع، وتدرج معهم في التحدي ـ على سبيل التنزل ـ فتحداهم أن يأتوا بمثله، ثم بعشر سور منه، ثم بسورة منه ولو من قصاره، فما استطاعوا، ولن يستطيعوا، ولو كان بعضهم لبعضهم ظهيرا [1].

فالقرآن واجه المشركين، وتصدى لهم، وناظرهم فيما يعتقدونه وقطعهم بالحجة البالغة والسلطان القاهر، فما استطاعوا له ردا، ولا عنه حولا. قال الزركشي في قصة الوليد بن المغيرة وإيفاد قريش له إلى النبي بغية أن يقطعه ويكفّه عنهم، قال ـ رحمه الله تعالى ـ: إن الوليد بن المغيرة ـ لعنه الله ـ كان سيد قريش، وأحد فصحائهم، لما سمعه ـ أي القرآن ـ أُخرس لسانه، وبَلُد جنانه، وأُطفئ بيانه، وقطعت حجته، وقصم ظهره، وظَهَرَ عَجزه، ودَهُلَ عقله[2]،

حتى قال قوله المشهور وهو: إن له لحلاوة، وإن عليه لطلا

(1) انظر: الزركشي، محمد بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، ط/2، 1391هـ ـ 1972م، 108-110/2.

(2) انظر: الزركشي: البرهان، 110/2.

اوة، وإن أسفله لمغدق، وإن أعلاه لمثمر، وإنه ليعلو ولا يُعلى[1].

فللقرآن الكريم قوة تأثير عظيمة على النفوس حتى جعلت أهل الكفر والإلحاد يصفونه بالسحر وما هو بسحر، وجعلتهم يتناهون عن الاستماع إليه؛ قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ۝٢٦ ﴾[2]. ونطق بعض هؤلاء بالحق كَرْهَاً مثلما كان من أمر الوليد وغيره.

وقال تعالى في شأن بعض النصارى: ﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝٨٢ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٨٣ ﴾[3].

إن بقاء حجة القرآن ودوامها في صدقها وقوتها وحجيتها وشمولها، فحجته باقية ما بقيت السموات والأرض، وعامة لكل الناس على تباين أزمانهم، ومواقعهم، ومراتبهم في الفهم والإدراك، وهذا البقاء والشمول مستمدان من بقاء الرسالة وشمولها:

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾[4]

(1) انظر : الزركشي: البرهان، 2/111-110.
(2) سورة فصلت، الآية (26).
(3) سورة المائدة، الآيتان (82-83).
(4) سورة الأعراف، الآية (158).

، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾[1].

وقال : "مامن الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة "[2].

فلا يتصور أن أحدا ً ـ في أي وقت أو أي موقع ـ يجرؤ على معارضة حجة القرآن بما يقطعها، أو يشكك في مصداقيتها، على ما يكون من حجج بعض الناس التي قد تكون قاطعة لبعضهم، وفي وقت من الأوقات، ثم لا تلبث أن يعرف بعض الناس بطلانها أو ضعفها. أما حجة القرآن الكريم فتبقى قاطعة لكل حجة، لا يُغيّر من ذلك زمان ولامكان ولا إنسان.

ثانيا ً: ومن خصائص الاستدلال القرآني أنه يخاطب العقل والوجدان جميعا، فيأتي بالفائدة العقلية والمتعة الوجدانية معا وعلى مستوى واحد، مما لا يوجد مثله عند أي إنسان عالما كان أو حكيما أو شاعرا أديبا، يستطيع أن يمسك بالأمر من طرفيه، فيأتي بكلام واحد فيه قوة الحجة العقلية وجمال العبارة، ولو وجدا عنده فلا يعملان إلا مناوبة، كلما قويت واحدة اضمحلت الأخرى، وكاد أن ينمحي أثرها، وكلنا يحس من نفسه تناقصَ قوة الوجدان عند استيلاء قوة التفكير ، والعكس بالعكس[3].

---

(1) سورة سبأ، الآية (28).

(2) البخاري: الصحيح "فتح الباري"، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي وأول ما نزل، برقم 4981، 9/ 3.

(3) انظر: دراز، محمد عبد الله: النبأ العظيم، مطبعة السعادة، مصر، 1389هـ ـ 1969م، ص 107-110، والزرقاني، محمد عبد العظيم: مناهل العرفان، دار إحياء التراث

فمن نظر في كلام الناس من الفلاسفة والحكماء، وكلام الشعراء والأدباء لم يجد إلا غلوا في جانب وقصورا في الجانب الآخر. فالحكماء ـ مثلا ـ يقدمون لك ثمار عقولهم، وعصارة أفكارهم غذاء لعقلك من غير أن تتطلع نفوسهم إلى إشباع عاطفتك وإرواء وجدانك.

وأما الشعراء فيقصدون إلى استثارة وجدانك، وتهييج عاطفتك، ولا يبالون بما صوروه لك أن يكون غيا أو رشدا، أو حقيقة أو خيالا، وتراهم جادين وهم هازلون؛ يستبكون وإن كانوا لايبكون، ويَطْرَبُون وإن كانوا لا يُطْرِبُون وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[1].

ولهذا لا تكاد تجد بشرا وفّى بحق العقل إلا وبخس حق الوجدان، أو وفّى بحق الوجدان إلا وبخس حق العاطفة. أما القرآن الكريم فقد جمع الله تعالى فيه بين القوتين: قوة الحجة العقلية البرهانية حتى إنه ليُقنع، أو ليقطع أرباب المعارف العقلية والفلسفية، وقوة المتعة الوجدانية والعاطفية حتى إنه ليُرضي ويشبع فحول الأدباء والشعراء، فهو كلام الله عز شأنه، لا يشغله شأن عن شأن، فهو القادر على مخاطبة العقل والقلب

العربي، بيروت، لبنان، 2/211-209، والرومي، فهد بن عبد الرحمن: خصائص القرآن الكريم، مكتبة الحرمين، الرياض، السعودية، ط/2، 1409هـ، ص 35-38، والألمعي، زاهر بن عواض: مناهج الجدل في القرآن الكريم، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، السعودية، ص 422.

(1) سورة الشعراء، الآيات (224-227).

معا وبلسان واحد، وأن يمزج بين الحق والجمال.

انظر ـ مثلا ً ـ إلـى قـولـه تعالـى: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾[1]. وتأمل وتدبر كيف اجتمع في كلمات سبع عمق المقدمات اليقينية، ووضوحها، ودقة تصوير ما يعقب التنازع من الفساد الرهيب؛ مما لو ابتغى تقرير مثله فلاسفة العصور كلها لما استطاعوا إلا بعبارة طويلة وعرة جافة، كما هو واضح في دليل التمانع[2] الذي صوره المتكلمون، وجعلوا هذه الآية دليلا ً عليه.

ثالثا ً: ومن خصائص الاستدلال القرآني أن أدلته لها من القطعية في الثبوت مثلما للقرآن الكريم من ذلك، إذ نصوصه وردت بطريق التواتر الذي يفيد العلم اليقيني الاضطراري؛ فلا شك ولا ظن في ثبوت أدلته كما لاشك ولا ظن في ثبوت نصوصه، هذا من جهة الورود، وكذلك من جهة المعاني والدلالا

---

(1) سورة الأنبياء، الآية (22).

(2) دليل التمانع: أنه لو فرض وجود صانعيْن متكافئيْن في الصفات والأفعال، فعند اختلاف إرادتهما؛ كأنْ يريد أحدهما تحريك جسم ويريد الآخر تسكينه، فإما أنْ يحصل مراد كل واحد منهما وهو جمع بين النقيضيْن، وهو محال، وإما ألا يحصل مراد أي منهما، وهو رفع للنقيضين، وهو ـ أيضاً ـ محال، مع نسبة العجز لكل واحد منهما، وإما أنْ يحصل مراد واحد منهما دون الآخر، فيكون هو الرب الحق، والآخر عاجزاً لا يصلح للربوبية، ونظام الكون ودقة صنعه يدلُّ على أنّ خالقه ومدبره واحد لا شريك له وهو الله تعالى. انظر: الباقلاني، محمد بن الطيب أبو بكر: التمهيد في الرد على الملحدة المعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة، خدمه محمود محمد الخضيري ومحمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الفكر العربي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة و النشر، القاهرة ـ مصر، 1366هـ ـ 1947م، ص 46، وللمؤلف أيضاً: الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، تحقيق محمد زاهد الكوثري، مؤسسة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، مطبعة السُنّة المحمدية، مصر، ط/2، 1382هـ ـ 1963م، ص 34.

ات فالاستدلال قطعي؛ لأن المراد به تقرير القواعد الاعتقادية، وإقامة الأدلة والبراهين على قضايا الاعتقاد، والرد على الخصوم، وهذا من أعظم ما جاء القرآن لتقريره، فلا بد أن يكون في وضوح معانيه، وقوة دلالته، ودقة مقاصده ما يجعله هداية للضالين، وقطعا للمعاندين، وحجة على الخلق أجمعين.

فلا تناقض بين أدلته وبراهينه كمـا قال تعالى: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[1].

ولا ضعف فى قوة حجة القرآن ووضوح محجته كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾[2]. فلا أحد في قديم الزمن ولا في حديثه يُعرف أنه أقام دليلا صحيحا وحجة قاطعة يعارض بها أدلة القرآن الكريم وحججه، بل لم يذكروا إلا ما يدل على عجزهم وانقطاعهم، وذلك حين وصفوا القرآن بالسحر والشعر وهم أول من يعرف براءته من ذلك؛ كما كان من أمر الوليد بن المغيره وغيره.

بل هؤلاء الذين أخبر القرآن أنهم صالو النار ـ كأبي لهب و الوليد ـ لم يجرؤ أحدهم على تكذيب القرآن بإبطال حجته، وإظهار تناقضه ـ مع حرصهم على معارضته ـ فيعلن إسلامه، ولو على سبيل المعارضة، فلله الحجة البالغة أبدا ً.

ولهذا وغيره قال أبو عبدالله الرازي ـ مع خبرته في الكلام ـ

(1) سورة النساء، الآية (82).

(2) سورة فصلت، الآيتان (41-42).

في آخر عمره: " لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلا، ولا تروي غليلا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن؛ أقرأ في الإثبات: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ ﴾[1]، ﴿ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾[2]، وأقرأ في النفي: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ﴾[3]، ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ۝١١٠ ﴾[4]، ومن جرّب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي"[5].

رابعا ً: ومن خصائص الاستدلال القرآني أنه إذا أراد إلزام الخصوم وإفحامهم فعل ذلك بأقرب الطرق وأقواها إلزاما وإفحاما، فلا يجد الخصم لنفسه ملاذا غير التسليم والإذعان، من ذلك ما حكاه الله تعالى عن إبراهيم في مجادلة مدعى الربوبية، قال تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢٥٨ ﴾[6]، ومنه أيضا ً: ﴿ أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ

(1) سورة طه، الآية (5).
(2) سورة فاطر، الآية (10).
(3) سورة الشورى، الآية (11).
(4) سورة طه، الآية (110).
(5) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم أبو العباس، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق محمد رشاد سالم، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، السعودية، ط 1، 1400هـ ـ 1980م، 160/1، وابن تيمية: الرد على المنطقيين، ص 321.
(6) سورة البقرة، الآية (258).

﴿هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ٣٥﴾[1].

خامساً: ومن خصائص الاستدلال القرآني؛ أنه يرشد مخاصميه إلى العقل الصريح، والعقل هو أغلى ما يفاخر به المخاصم، والقرآن لا يخاف نتائج العقل؛ لأنها دائما ـ إن كانت صحيحة صريحة ـ لا تتعارض مع الحقائق الإيمانية، بل القرآن يأمر بإعمال الفكر والنظر، واستخدام العقل إلى الغاية الممكنة. قال تعالى: ﴿۞قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ ٤٦﴾[2]، وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾[3].

وهناك قوانين عقلية لا يمكن الاختلاف والتنازع فيها كوجوب الجمع بين المتماثلات، والتفريق بين المختلفات، وإلحاق الشيء بنظيره، وإعطاء الفرع حكم أصله، ونحو ذلك. ولهذا ذم الله تعالى الذين يجادلون في الله بغير حجة: لا من كتاب ناطق، ولا من عقل صادق. فقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٨﴾[4].

ونجد آيات كثيرة فيها المطالبة بالتزام ما يقتضيه العقل، و الإذعان إلى حكمه ـ وهو موافق لا محالة لحكم الشرع ـ فمن

(1) سورة الطور، الآية (35).
(2) سورة سبأ، الآية (46).
(3) سورة يونس، الآية (101).
(4) سورة الحج، الآية (8).

ذلك قوله تعالى مخاطبا أهل الكتاب: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[1]، ويقول لهم في شأن انتسابهم إلى إبراهيم :

﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾[2].

وسقه الخليل مَنْ عَبَدَ من دون الله ما لا ينفعه ولا يضره، وطالبه أن يُحكِم عقله، قال تعالى: ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾[3].

واشتمال الاستدلال القرآني على القوانين العقلية الصريحة يجعله حجة على كل الناس، لاسيما الذين غلبت عليهم النزعات العقلية والفلسفية، أو الذين لهم مذاهب دينية سابقة يتعصبون

(1) سورة البقرة، الآية (44).
(2) سورة آل عمران، الآيات (65-68).
(3) سورة الأنبياء، الآيتان (66-67).

لها، ولا ينقلبون عنها إلا ببراهين جديدة تولد عندهم علوما جديدة، وهذا ما يضمنه الاستدلال القرآني لهؤلاء الأصناف من البشر، إذا تخلوا عن التعصب والعناد.

سادساً: تميُّز الاستدلال القرآني عن الاستدلال اليوناني والكلامي، وذلك من وجوه كثيرة، أهمها:

[1] القرآن نزل لهداية الناس كافة، وما فيه من الاستدلال والجدل إنما هو لمخاطبة الناس جميعا، وعلى مختلف مستوياتهم العقلية والعاطفية، بعكس طريقة المناطقة و المتكلمين في الجدل والاستدلال فلا يفهمها إلا طائفة خاصة من الناس؛ وذلك لما فيها من الغموض، والإلغاز في الاستدلال، والتطويل في العبارات[1].

[2] القرآن الكريم لم يلتزم طريقة المناطقة والمتكلمين الاصطلاحية في المقدمات والنتائج من الاستدلال بالكلي على الجزئي في قياس الشمول[2]، أو الاستدلال بأحد الجزئين على الآخر في قياس التمثيل[3]، أو الاستدلال بالجزئي على الكلي في قياس الاستقراء[4]، وذلك[5]:

(1) انظر: شيخون، محمود: من أسرار البلاغة، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، مصر، 1404هـ، ص 223.

(2) قياس الشمول: اشتراك الأفراد في حكم عام وشموله لها. انظر: ابن تيمية: الرد على المنطقيين، ص 364.

(3) قياس التمثيل: إثبات حكم في أمر لثبوته في آخر لعلة مشتركة بينهما، ويسمى المحكوم عليه فرعاً، والشيء المنقول منه الحكم أصلاً، أو مثالاً، والعلة المشتركة بينهما جامعة. وهو قياس الأصوليين، ويسمى الشرعي. انظر: كشاف اصطلاحات الفنون، 1193-1194/5، والمعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، ص 55.

(4) الاستقراء: هو الحكم على الكلي لثبوت ذلك الحكم في جزئياته أو أفراده، إما كلها وهو الاستقراء التام، وإما أكثرها وهو الاستقراء المشهور، معتمداً على مبدأ الحتمية، كقولنا: لكل طائر جناحان. انظر: المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية،

[أ] لأن القرآن جاء بلسان العرب، وطريقتهم في التخاطب، فطريقته تجمع بين عمق المعنى ودقة التصوير، ووضوح التعبير، وسلامة التركيب دون إخلال بالصورة البيانية التي تثير الضمير وتوقظ المدارك النفسية، وتدفع بالعقول إلى النظر دون ارتباط بالاصطلاحات المنطقية الفلسفية المعقدة(2).

[ب] ولأن الاعتماد في الاستدلال على ما فُطِرَت عليه النفس من الإيمان بما تشاهده وتحس به دون عمل فكري معقد أقوى أثرا وأبلغ حجة.

[ج] ولأن ترك الجلي من الكلام والالتجاء إلى الدقيق الخفي نوع من الغموض والإلغاز لايفهمه إلا الخاصة، وينافي قصد الشارع من هداية الناس وبيان الحق لهم.

يقول الزركشي ـ رحمه الله تعالى ـ:"اعلم أن القرآن العظيم قد اشتمل على جميع أنواع البراهين والأدلة، وما من برهان ود لالة وتقسيم وتحديد شيء من كليات المعلومات العقلية و السمعية إلا وكتاب الله تعالى قد نطق به، لكن أورده تعالى على عادة العرب دون دقائق طرق أحكام المتكلمين لأمرين:

أحدهما: بسبب ما قال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ﴾(3).

ص 12، وصليبا، جميل: المعجم الفلسفي، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، ط/1، 71-72/1.

(1) انظر: القطان، مناع: مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف، الرياض، السعودية، ط /8، 1401هـ، ص 299-300.

(2) انظر: الألمعي: منهاج الجدل، ص 416-417.

(3) سورة إبراهيم، الآية (4).

والثاني: أن المائل إلى دقيق المحاجّة هو العاجز عن إقامة الحجة بالجليل من الكلام، فإن من استطاع أن يُفهم بالأوضح الذي يفهمه الأكثرون لم يتخطّ إلى الأغمض الذي لا يعرفه إلا الأقلون، ولم يكن مُلغِزا، فأخرج تعالى مخاطباته في محاجة خلقه في أجلّ صورة تشتمل على أدق دقيق، لتفهم العامة من جليلها ما يُقنعهم ويُلزمهم الحجة، وتفهم الخواص من أثنائها ما يوفي على ما أدركه فهم الخطباء ..."[1].

[3] الاستدلال القرآني يدل على الحقائق في ذاتها، فبراهين القرآن وحججه دالة على الأمور المعيّنة، كأسماء الله وصفاته، والملائكة، والرسل، والكتب، والعرش، والكرسي، و الجنة والنار، وما وقع للأنبياء مع أقوامهم من قصص وأحداث معيّنة، وكذلك ما أخبر به الله تعالى ورسوله من الأمور المستقبلية وغير ذلك، كلها أمور معينة ليست من نوع القضايا الكلية التي لا تكون إلا في الذهن، ولا تمنع من وقوع الشركة فيها، كما هو حال كلام المناطقة وجدلهم، فأقيستهم التي هي عندهم برهانية لا تفيد إلا أمورا كلية، لا تدل على شيء معين[2].

فطريقة القرآن الكريم في الاستدلال وتوجيه العقول و المشاعر لإدراك أعمق الحقائق أيسر وأشمل وأقوم... فعلى الناظرين في القرآن الكريم والداعين إلى نشر قضاياه ومبادئه أن يعملوا على إشاعة الأسلوب القرآني، وتقريبه بما يرفع

(1) الزركشي: البرهان، ص 24. وانظر: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن: معترك الأقران في إعجاز القرآن، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الثقافة العربية للطباعة، بيروت، لبنان، 1969م، 456/1.

(2) انظر الألمعي: مناهج الجدل، ص 415-416.

الحجب الاصطلاحية عن وجهه الجميل، حتى لا تغرق معانيه في خضم الاصطلاحات المنطقية والفلسفية[(1)].

إننا بحاجة ماسة إلى تغيير لغة الخطاب العقدي في عصرنا ، سواء لأجل مخاطبة المسلمين أو غيرهم، ولنضع في تقديرنا عدة أمور من أهمها وأبرزها:

[1] اعتمـاد لغة القرآن وأسلوبه ومنهجيته في تأسيس الإ يمان وفي مخاطبة العقل والوجدان على حد سواء، وتلبية حاجتهما من الإشباع، وقد مر بيان ذلك.

[2] تناول بعض قضايا العقيدة بشكل آخر، ولعله يكون الأ قرب لمنهج القرآن، ولتحقيق مقاصده، فمثلا: مسألة الأسماء و الصفات والتي كانت الشغل الشاغل لأهل الكلام ومَنْ جادلهم، حيث شغلت حيزا كبيرا من المؤلفات والجهود والأوقات ـ وقد يكون لهذا مبرر في وقته ـ وأضفت عليها المباحث الجدلية حجابا كثيفا غيّب منها المعاني الجميلة التي كانت تشع بها في السياق القرآني وفي نفوس الرعيل الأول من الصحابة وخيار ا لأمة.

فالمقصود من الأسماء والصفات وضع تصور صحيح عن الذات الإلهية، وتصحيح التصورات الفاسدة الموجودة لدى المشركين وأصحاب الديانات المنحرفة، أو التي قد توحي بها السذاجة العفوية لدي بعض الناس أحيانا، وهذا التصور الصحيح ينبغي أن يحمل صاحبه على معرفة الله المعرفة الصحيحة، معرفة لها حياتها وحيويتها وحرارتها وحركتها، حيث تولِّد في نفس المؤمن عظمة الله، ومحبته، وخشيته، والإ

(1) عرجون، محمد صادق: القرآن العظيم؛ هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، 1386هـ ـ 1966م، ص 284-283 "بتصرف".

إنابة إليه، والتوكل عليه، فالله على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم، ولا تخفى عليه خافية، وهو العدل، الحكم، الغفور الرحيم، شديد الحساب، وشديد العذاب، لا يظلم أحدا، فإذا رسخت هذه المعرفة في نفس الإنسان حملته على عبادة الله، لأنه أحق بذلك من غيره، وهكذا عُرضت الصفات الإلهية في القرآن الكريم؛ فمثلا: حينما قال أحدهم للرسول : يا محمد، أقريب ربنا فنناجيه، أم بعيد فنناديه؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾(1).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾(2)، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾(3).

فلا ينبغي فصل الأسماء والصفات عن السياق الذي وردت

(1) سورة البقرة، الآية (186). وانظر: الطبري، محمد بن جرير أبو جعفر: جامع البيان في تأويل آي القرآن، تحقيق محمود محمد شاكر وأحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، 480/3.
(2) سورة النحل، الآية (50).
(3) سورة المجادلة، الآية (7).

فيه، ولا يسوغ عرضها في السياق الجدلي الكلامي الذي عولجت من خلاله شبهات الطوائف المنحرفة في باب الصفات الإلهية، فإن هذا يعطلها عن دورها الفاعل في تربية النفوس، وتهذيب الطباع، وتحقيق مراقبة الله وتعظيمه، والحث على طاعته والتزام شرعه سرا ً وجهرا ً، ورغبا ً ورهبا ً.

[3] العمل على إعادة عقيدة السمعيات إلى موقعها الطبيعي لتقوم بدورها في تربية الأمة، وزرع محبة الله ومحبة لقائه، والشوق لما أعده لأهل طاعته في جنات النعيم، وزرع الخوف منه تعالى ومن عقابه، فقد خلت كتب العقيدة من التعرض لهذه القضايا إلا في سياق مجادلة المنكرين للبعث والرد على شبهاتهم، أما غير ذلك فلا يكاد يوجد منه شيء يستحق الذكر، مع أن قضايا السمعيات من: البرزخ والبعث والنشور والحساب والميزان والصراط والجنة وأنواع نعيمها، والنار وأصناف عذابها أمر بارز في القرآن الكريم، متضمّن في غالب سور القرآن، حتى إن الله تعالى يخوف به الكافرين فضلا عن المؤمنين قال تعالى ﴿

ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ
لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا
﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ
وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ
﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا

﴿تِسْعَةَ عَشَرَ ۝٣٠﴾[1].

وروي أن كعب الأحبار أسلم بسبب قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ﴾[2]، حيث سمع قارئا يتلوها، فوضع كعب كفيه على وجهه، ورجع القهقرى إلى بيته، فأسلم مكانه، وقال: والله لقد خفت ألا أبلغ بيتي حتى يُطمس وجهي[3].

[4] تجنب عرض العقيدة من خلال الرد على الخصوم القدامى ودفع شبهاتهم، بل لا بد من بعث الفطرة الصحيحة الموجودة في نفوس بني آدم، وإزالة الركام عنها، ومعالجتها وتزكيتها بالأدوية الإلهية، وتهيئتها لمعرفة الحق وقبوله والإذعان له، ثم تعرض العقيدة عرضا تقريريا وتأسيسيا ابتداء، ثم من خلال الرد على الخصوم المعاصرين، والتحديات المعاصرة، وتجنب اجترار التحديات القديمة لا سيما التي لا وجود لها على الساحة، أو لا تقع في قائمة الأولويات.

[5] التركيز على الآثار العملية للإيمان وأركانه الستة، وبيان ثمار ذلك في الحياة الدنيا، سواء أكانت ثمارا مادية من توفير الأمن في الأوطان، والسعة في الأرزاق، والصحة في الأبدان، والقوة بمعانيها المتنوعة ونحو ذلك، أو ثمارا معنوية كالصحة

(1) سورة المدثر، الآيات (11-30).
(2) سورة النساء، الآية (47).
(3) انظر: ابن عطية، عبد الحق الأندلسي، أبو عبد الله: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد الله الأنصاري و"آخرين"، مؤسسة دار العلوم، الدوحة، قطر، ط/1، 1402هـ ـ 1982م، 92/4.

النفسية، والطمأنينة القلبية، والسعادة الروحية ونحو ذلك مما تفتقده المجتمعات الإلحادية أو المادية. وقد قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾(1)، وقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾(2)، وقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾(3)، وقال: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾(4).

[6] مراعاة العصر الذي نعيش فيه، واهتمامات أفراده، و القضايا الساخنة المطروحة في الساحة، ولهذا قيل: لو كان ابن تيمية حيا لجعل في مقدمة اهتماماته مواجهة مثل الشيوعية والرأسمالية والقومية والعلمانية والحداثة والعولمة ونحو ذلك من قضايا العصر، وهو ما يسمى بواجب الوقت، أو كما يسميه العلامة القرضاوي بفقه الأولويات، ، وقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾(5).

[7] أن نتحكم نحن في إدارة الصراع الفكري والعقدي دون

(1) سورة الأعراف، الآية (96).
(2) سورة الأنعام، الآية (82).
(3) سورة الرعد، الآية (28).
(4) سورة آل عمران، الآية (139).
(5) سورة التوبة، الآية (123).

أن نُجر أو ننجر للدخول في قضايا لا تخدم أهدافنا الأساسية، ولا تتماشى مع خطتنا المنهجية.

[8] مراعاة لغة العصر الذي نعيشه، فعصرنا كما يقال عصر العلم، ومنه علوم الفضاء وسائر العلوم التطبيقية على مختلف ألوانها وأبعادها، وهو عصر غلبت عليه النزعة الإنسانية، وقيم المذاهب الوضعية كالنفعية والذرائعية ونحو ذلك، فينبغي أن نراعي ذلك في خطابنا العقدي، وإلا أصحبت الهوة واسعة بيننا وبين قومنا، وبيننا وبين الناس أجمعين.

[9] مع الحرص والحذر في استخدام المصطلحات المعاصرة أثناء تحميلها المعاني الشرعية حتى لا نقع فيما وقع فيه أهل الكلام من قبلُ مجاراة للفلاسفة حين استعملوا ألفاظا في شرح المعاني الشرعية تحتمل حقا وباطلا، أو على أقل تقدير تؤدي إلى الإيهام والإجمال ونحو ذلك.

[10] معالجة قضية الإيمان من خلال قضايا مجتمعاتنا على مختلف مستوياتها وأنواعها، فهكذا كانت دعوات الرسل، و الحذر من التغافل عن القضايا الملحة، والتحليق بالناس فيما لا يعنيهم من مشاكل اجتماعية لا يعيشونها ولا يعانونها، أو تضييع الأزمان وإتعاب الأذهان في معالجة افتراضيات لا وجود لها في الساحة.

[11] الاستفادة من علوم العصر لا سيما القطعية منها في ترسيخ قضايا الإيمان في النفوس والبرهنة على عدم التعارض بين كلمات الله الشرعية وكلماته الكونية، وفي هذا الصدد ندعوا إلى التوسع في بيان الإعجاز القرآني في مجالات العلم التجريبي والظواهر الكونية والنفسية، وفي مجالات العلوم الا جتماعية ونحو ذلك من اهتمامات العصر، فالمعجزة تكون عادة

فيما برع فيه القوم، وأقوامنا برعوا فيما تقدم ذكره، والقرآن لا تنقضي عجائبه.

[12] الربط بين الفساد الكوني والفساد الأخلاقي، لأن الكون فطر على الحق والعدل، وكذلك ينبغي على الإنسان أن يكون، حتى يعيش مع الكون في أمن وسلام وتناغم، وإلا وقع الفساد والخراب في الكون بقدر ما يقع من الإنسان من فساد في سلوكه؛ سواء الاعتقادي أو العملي، وقد قال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾[1]، ويقول تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾[2].

ولهذا يكون الفساد الكوني العام أو الهائل، وهو ما يعبر عنه بأشراط الساعة الكبرى، حين يعم الفساد الأخلاقي الأرض ولا يبقى للصلاح فيها مجال، يقول النبي : "لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله"[3].

[13] ربط قضايا السلوك بالمعتقد، على أنها أثر من آثار الإيمان الصحيح، وقد تكون من لوازمه ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ

(1) سورة الروم، الآية (41).
(2) سورة طه، الآيتان (123-124).
(3) مسلم، ابن الحجاج النيسابوري: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، برقم 234، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ط/1، 1375هـ ـ 1955م، 131/1.

بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ﴾[1]، ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۝٢٤ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾[2].

فإغفال جانب التأسيس العقدي لكثير من الأمور العملية السلوكية كان سببا في هذا الواقع المرير الذي يعيشه المسلمون ، المتمثل في إقصاء شريعة الرب تعالى عن كثير من مظاهر الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية، حتى صار لديهم استعداد نفسي لتقبل الفلسفة العلمانية.

[14] إبراز قصور وضعف بل وبطلان الخطاب الديني المعاصر لدى اليهود والنصارى وغيرهم من أصحاب الديانات الوضعية، والتركيز على فضح أساليب الصهيونية، وحركات التنصير والاستشراق، ونحو ذلك من المنظمات ذات البعد الديني.

[15] التصدى للتيارات والمذاهب الوضعية المعاصرة وبيان عوارها، وكشف أساليبها، كل ذلك من خلال كتب العقائد.

[16] بيان عجز المذاهب الإنسانية عن استيعاب الحياة البشرية وتلبية حاجاتها على اختلاف ألوانها وتحولاتها، و التأكيد على حاجة البشرية سابقا ولاحقا إلى الوحي الإلهي.

[17] وأخيرا ً - أقترح أن يُضم إلى مقرر العقيدة في الجامعات والمعاهد ما يتعلق بالتحديات المعاصرة، لكي تعالج من خلال كتب العقيدة، وبلغة العصر الذي نعيشه، والتي

(1) سورة الأعراف، الآية (58).
(2) سورة إبراهيم، الآيتان (24-25).

تناسب أجيالنا، كما أقترح إخراج كثير من الموضوعات من مقرر العقيدة وضمها إلى مقرر الفرق، أو مقارنة الأديان و المذاهب أونحو ذلك من العلوم الشرعية المتخصصة.

وبهذا نكون قد حققنا عدة أهداف، منها:

الأول: أن يجتمع في مادة العقيدة جانبان، الأول: التأسيس والإقناع، والثاني: التحصين والدفاع، وبأسلوب معاصر.

الثاني: مواكبة علم العقيدة لقضايا العصر وتحدياته.

الثالث: معالجة هذه التحديات بأسلوب العصر ولغته.

هذا، وأسأل الله التوفيق والسداد في القول والعمل، وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم تسليما كثيرا..

ثبت بالمراجــع

[1] **ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم أبو العباس**: درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: محمد رشاد سالم، الرياض ـ السعودية، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1 1400هـ ـ 1980م.
[2] **ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم أبو العباس**: الرد على المنطقيين، بيروت ـ لبنان، دار المعرفة.
[3] **ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم أبو العباس**: مجموع فتاوى ابن تيمية، المغرب، مكتبة المعارف.
[4] **ابن عبد البر، يوسف أبو عمر**: جامع بيان العلم وفضله، بيروت ـ لبنان، دار الفكر .
[5] **ابن عطية، عبد الحق الأندلسي، أبوعبد الله**: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد الله الأنصاري وآخرين، الدوحة ـ قطر، مؤسسة دار العلوم، ط1، 1402هـ ـ 1982م.
[6] **ابن القيم، محمد بن أبي بكر**: الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، تحقيق: علي الدخيل الله، الرياض ـ السعودية، دار العاصمة، ط1 1408هـ.
[7] **ابن قتيبة، محمد بن عبد الله أبو محمد**: الاختلاف في اللفظ، مطبعة السعادة، 1349هـ.
[8] **ابن قتيبة، محمد بن عبد الله أبو محمد**: تأويل مختلف الحديث، تحقيق: محمد زهري النجار، بيروت ـ لبنان، دار الجيل 1493هـ ـ 1973م.

[9] **أبو زهرة، محمد:** المعجزة الكبرى القاهرة ـ مصر، دار الفكر العربي، دار غريب للطباعة.
[10] **الأشعري، علي بن إسماعيل أبو الحسن:** مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين تحقيق: هلمون ريتر ـ دار النشر فرانز شتانير، فيسبادن، ط/3، 1400هـ-1980م.
[11] **الأصبهاني، إسماعيل بن محمد أبو القاسم:** الحُجّة في بيان المحجة، تحقيق: محمد ربيع بن هادي المدخلي الرياض ـ السعودية، دار الراية، ط1 1411هـ-1990م.
[12] **الألمعي، زاهر بن عواض:** مناهج الجدل في القرآن الكريم، الرياض ـ السعودية، مطابع الفرزدق التجارية.
[13] **الباقلاني، محمد بن الطيب أبو بكر:** الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، تحقيق: محمد زاهد الكوثري ، مؤسسة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع ، مطبعة السنة المحمدية، مصر، ط2، 1382هـ-1963م.
[14] **التمهيد في الرد على الملحدة المعطلة والرافضة، و الخوارج والمعتزلة،** خدمة: محمود محمد الخضيري ومحمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الفكر العربي، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة والنشر، القاهرة ـ مصر، 1366هـ-1947م.
[15] **البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله:** صحيح البخاري مع شرح فتح الباري، خدمة: محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، القاهرة ـ مصر، المطبعة السلفية ومكتبتها، 1380هـ.
[16] **البيهقي، أحمد بن الحسين أبو بكر:** السنن الكبرى حيدر آباد ـ الهند، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط1 1355هـ.

[17] الجامي، ملا عبد الرحمن: الدرة الفاخرة في تحقيق مذهب الصوفية والمتكلمين والحكماء، بذيل كتاب أساس التقديس لفخر الدين محمد بن عمر الرازي، مصر، مطبعة كردستان العلمية، 1328هـ.
[18] الجرجاني، علي بن محمد، أبو الحسين: التعريفات، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب، بيروت ـ لبنان، ط1، 1407هـ ـ 1987م.
[19] دراز، محمد عبد الله: النبأ العظيم، مطبعة السعادة، مصر، 1389هـ 1969م.
[20] الرومي، فهد بن عبد الرحمن: خصائص القرآن الكريم ، الرياض ـ السعودية، مكتبة الحرمين، ط2، 1409هـ.
[21] الزرقاني، محمد عبد العظيم: مناهل العرفان، بيروت ـ لبنان، دار إحياء التراث العربي.
[22] الزركشي، محمد بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط2، 1391هـ ـ 1972م.
[23] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن: معترك الأقران في إعجاز القرآن، تحقيق: علي محمد البجاوي، بيروت ـ لبنان، دار الثقافة العربية للطباعة، 1969م.
[24] الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، أبو الفتح: الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلاني، بيروت ـ لبنان، دار المعرفة، 1400هـ ـ 1980م.
[25] شيخون، محمود: من أسرار البلاغة القاهرة ـ مصر، مكتبة الكليات الأزهرية، 1404هـ.

[26] **صليبا، جميل**: المعجم الفلسفي، بيروت ـ لبنان، دار الفكر اللبناني، ط1/.

[27] **الطبري، محمد بن جرير أبو جعفر**: جامع البيان في تأويل آي القرآن، تحقيق: محمود محمد شاكر وأحمد محمد شاكر، مصر، دار المعارف.

[28] **عرجون، محمد صادق**: القرآن العظيم؛ هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين، مصر، مكتبة الكليات الأزهرية، 1386هـ ـ 1966م.

[29] **العطّار، حسن**: حاشية العطّار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع للسبكي، مصر، المطبعة العلمية، ط1 ، 1316هـ.

[30] **الغزالي، محمد بن محمد أبو حامد**: إحياء علوم الدين، بيروت ـ لبنان، دار المعرفة.

[31] **غلاب، محمد**: المعرفة عند مفكري المسلمين، مراجعة: محمود العقاد وزكي نجيب محمود، مصر، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

[32] **قاسم، محمود**: مقدمة كتاب مناهج الأدلة لابن رشد، مصر، مكتبة الأنجلو، 1964م.

[33] **القطان، مناع خليل**: مباحث في علوم القرآن، الرياض ـ السعودية، مكتبة المعارف، ط8 1401هـ.

[34] **الكلاباذي، محمد أبو بكر**: التعرّف لمذهب أهل التصوّف، تحقيق: عبد الحليم محمود، القاهرة ـ مصر، دار إحياء الكتب العربية، 1380هـ ـ 1960م.

[35] **اللالكائي، هبة الله بن الحسن أبو القاسم**: شرح

أصول اعتقاد أهل السُنّة والجماعة من الكتاب والسُنّة وإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم تحقيق: أحمد سعد حمدان، الرياض ـ السعودية، دار طيبية للنشر والتوزيع.

[36] **مسلم، ابن الحجاج النيسابوري:** صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ط1، 1375هـ ـ 1955م.

[37] **الملطي، محمد بن أحمد أبو الحسين:** التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، تقديم: محمد زاهد الكوثري بغداد ـ العراق، ، مكتبة المثنى، 1388هـ ـ1968م.